

على ساحل هذا الأبيض المتوسط بإزاء مدنیاته القديمة والحديثة كما يقف الصياد الذي دهمته العتمة ولم يعطه البحر سمة واحدة . عصور تمدینه - أداة التخاطب المثلث وأساليب العبادة الفضلى وطرائق الفكر والعمل إياه بعزم لا يُغلب إلى الأخذ بضربٍ من ضروب العظمة أو السمو أو التوسع يكفي به وهكذا رأينا لبنان يتبسط سفناً ومدنّاً ويتسامي آلهة وهيأكل . ومن غاباته المقدسة كان يُشيد معابدَة الذاهبة صعداء وبيني مراكبَة الذاهبة جامعاً الأضداد . ولا مما تحدس به مخيلة شاعرٍ أو ينضح به ذهن حكيم: ثم يُفرض على الوجود فرضاً . فالحياة نفسها (وال تاريخ الذي يحكي حكايتها) ليست سوى حوار لا ينتهي بين الإنسان والطبيعة . أو منعكس . ومعترك الأمم المتنافسة؛ وعبادات وثقافات: ثم يُقذف به جزيرة عائمة في الأوقیانوس . وإذا صح أن ثمة مستقبلاً قريباً أو بعيداً ليس يعرف الأثرة القومية وما يلزمها